

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إحياء القرآن الكريم لتنمية القوى العقلية في الإنسان

بمحت أعدده

الأستاذ يوسف الخليفة ابوبكر
أمين جامعة ام درمان الاسلامية

الحمد لله ، و الصلاة والسلام على محمد بن عبدالله ، و بعد :

مقدمة :

هذه رسالة مختصرة ”في إحياءات القرآن لتنمية القوى العقلية في الإنسان“، كما نطقت بها آيات القرآن الكريم. حاولت أن أتقصي فيها الدور الذي لعبه القرآن في توجيه العقل للنظر في المسائل التي عالجهها ، وبالتالي الدور الذي لعبه في توجيه عقول المسلمين ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من حضارة وعلم وفن في الماضي وما يمكن أن يصلوا إليه في المستقبل.

ونظرا إلى شح المراجع التي كتبت في هذا الموضوع فقد حاولت الاعتماد على القرآن الكريم (مرجع كل باحث) متقصيا آياته ، للوصول إلى معرفة المدى الذي وصل إليه القرآن في استنهاض هممهم لاستخدام العقل في فهم هذا الدين ، وفهم حقائق هذا الكون الفسيح. وقد وجدت أن القرآن الكريم قد أورد آلاف الآيات والألفاظ التي توحى باستخدام العقل ، وتعلو من شأن التفكير السليم. وقد أوردت بذلك

إحصاء قد يكون غير دقيق ، ولكنه يعطى فكرة واضحة عن الذخيرة التي وفرها لنا القرآن في هذا الموضوع . وقد اعتمدت في ذلك على كتاب ”المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته“ الذي قام بعمله السيد محمد فارس بركات .

ولم أتوسع في تناول ما أوردته من الأحاديث النبوية في هذا المضمار الإيمقدار ماسمح به الموضوع ، مكثفيا بكتاب الله المبين الذي لا ينضب له معين .

ثم تناولت في اختصار شديد الحالة العقلية التي كان عليها العرب قبل الاسلام مركزا على جانب واحد هو العقائد التي كانت سائدة قبل الاسلام . وأوضحت أن العرب لم يكن لهم منهج فكري ذو قواعد محددة لما كانوا يعتنقون من معتقدات وأفكار ، وإنما كانت قاعدتهم ”إنما وجدنا آباءنا على أمة ، وإننا على آثارهم مهتدون“ . وأن القرآن إنما جاء ليحارب هذه القاعدة — لأنها لا تتماشى مع المنطق والعقل . ولكن يستطيع القرآن أن يغير هذه القاعدة الخاطئة فقد أوضح ، وأكد ، وكرر الدعوة إلى استخدام العقل والمنطق في مسائل الدين والحياة والكون .

وبعد أن نجح القرآن في تحطيم المنهج البالي الذي كان يستخدمه العرب ، ووضع لهم المنهج الجديد الذي نرى فيهم القدرات العقلية المختلفة كانت النتيجة منطقية وواضحة : حضارة وسيادة وقيادة فكرية وسياسية لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ثم تناولت في شيء من الاختصار الموضوعات التي تحدث عنها القرآن وأحال فيها النظر إلى العقل . ولما كانت هذه الموضوعات كثيرة ، وما ورد فيها من آيات أكثر ولا يتسع لها هذا المختصر ، فقد اكتفيت ببعض الأمثلة مبينا ما يمكن أن يستنبط منها لتوضيح موضوع البحث .

ثم أوردت وجهتي نظر في العقل لاثنتين من المفكرين أحدهما من

المتقدمين وهو الامام الغزالي ، و الآخر من المحدثين وهو الأستاذ عباس محمود العقاد و ناقشت الأخير الذي حاول تقسيم العقل كما ورد في القرآن على أساس من الدراسات النفسية الحديثة وأبدت رأي في هذا التقسيم . ولم يكن هدفي المقارنة ، وإنما إعطاء مثلين لا اهتمام المفكرين بالبحث حول العقل .

ولما كانت معظم الاشارات التي وردت في القرآن عن العقل في فواصل الآيات أى أواخرها بما قد يوهم بأن ورودها في الفواصل يوحي بأن درجتها ثانوية بالنسبة لموضوع الآية ، فقد أوضحت ذلك في "ملحق" ، مبينا رأى المتقدمين في مكان الفاصلة من الآية من الناحية الموضوعية - مع بعض الأمثلة من القرآن الكريم وهى تؤكد أن الفواصل جزء مكمل و متمم لموضوع الآية ، ولا يتم المعنى إلا به . ثم أعقبت ذلك الملحق بنتيجة البحث ختاماً لهذه الرسالة .

و بعد :

فانى اعترف بقصور هذا البحث عن إلقاء الضوء الكامل لهذا الموضوع الذى شحت مراجعته ، و ضاق وقته ، و حسبى أننى حاولت معالجة موضوع ما يزال موضع الدراسة بالنسبة للباحثين فى القرآن الكريم .
والله ولى التوفيق

(١)

العقل و دلالاته فى القرآن الكريم

من أوضح سمات القرآن الكريم التى لفتت نظر الباحثين فى القرآن من المسلمين و غير المسلمين إشادة القرآن بالعقل و توجيه النظر إلى استخدامه للوصول إلى "الحقيقة" . فقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر إلى تعظيم العقل و الرجوع إليه ، كما تناول مسائل العقيدة أو التكليف أو التشريعات أو المواعظ .

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى حتى إنه ليكرر هذه الدعوة بشكل يلفت النظر، ويثير الاهتمام. ويشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة، مستخدماً لذلك كل الألفاظ الذي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد من "التفكير"، و"القلب"، و"الفؤاد"، و"اللب"، و"النظر"، و"العلم"، و"التذكر"، و"الرشد"، و"الحكمة"، و"الرأى"، و"الفقه". إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها وظلالها. مما يعتبر إحياءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للإنسان.

وقبل أن ندخل في بعض التفاصيل نلقى نظرة إحصائية على عدد من الكلمات الموحية أو الدالة على العقل أو التي لها ارتباط به أو بوظيفته، في القرآن الكريم:

العقل:

وردت مادة "عقل" بصيغة المضارع (يعقلون، تعقلون، يعقل، نعقل) في خمسين آية من آيات القرآن ووردت بصيغة الماضي في آية واحدة "من بعد ما عقلوه" (١)

التفكير:

وردت مادة "التفكير" بصيغة الفعل المضارع في سبع عشرة آية وبصيغة الماضي في آية واحدة "إنه فكر و قدر" (٢).

الفقه:

وردت مادة "الفقه" في عشرين آية بصيغة المضارع "يفقهون، تفقهون، فقهه..."

(١) ٧٥ : ٢

(٢) ١٨ : ٧٤

الذكر :

ووردت مادة "الذكر" في ثلاث وسبعين ومائتي آية بصيغها المختلفة الماضي والمضارع والأمر والمصدر - المجرد والمزيد والمضعف المبني للمجهول والمبني للمعلوم وكلها ذات صلة بالمعنى المراد. ولا يدخل في ذلك ما وردت تحت هذه المادة مما له صلة بمعنى الذكورة (ضد الانوثة).

مذكر :

ومذكر من صيغ الذكر أو التذكر وردت ٦ مرات في ست آيات في سورة القمر، بصيغة واحدة "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر".

الرأى :

ومادة "رأى" في القرآن كثيرة منها "راى" البصرية ومنها "رأى" العلمية ومنها ما يحتمل الوجهين. غير أنى وجدت أن "رأى" التى لها صلة بالتفكر - موضوع بحثنا - واضحة بصفة قاطعة فى كل ما استفهم عنه بالهمزة كقوله تعالى "ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه" ٢٤ : ٣ ، "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل" ٢٥ : ٥ ، "أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها..." ٢١ : ٢٤ ، "أولم يروا إلى الطير..." ٦٧ : ١٩ ، أفرايتم الماء الذى تشربون..." ٥٦ : ٦٧ و هكذا... ويزيد عدد الآيات التى وردت فيها "رأى" التفكيرية (١) عن ثمانين آية فى مختلف سور القرآن الكريم.

(١) اسم اقترحته ليدل على "رأى" التى يتصل معناها بالتفكر، وقد قسم علماء اللغة والنحو "رأى" إلى (١) بصرية و (٢) علمية غير أن رأى العلمية هذه تتضمن التفكيرية كالمثلة التى أوردناها، وغير التفكيرية كقوله تعالى "ما نرى لكم علينا من فضل" ١١ : ٢٧ فهذه ليست بصرية كما أنها ليست تفكيرية والله أعلم.

التدبر

و ورد التدبر في أربع آيات في القرآن ، ٨١ : ٤٧ ، ٢٤ : ٢٣ ،
 ٦٩ : ٣٨ ، ٢٩ ، وهي بصيغة المضارع "أفلا يتدبرون القرآن ، أفلم
 يدبروا القول ، مبارك ليدبروا آياته"

القلب :

ووردت كلمة "قلب" في ستة وعشرين ومائة آية. جاءت مفردة
 حيناً ، كقوله تعالى "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
 السمع وهو شهيد" . ٥ : ٣٧ و جمعاً حيناً آخر كما في قوله تعالى
 "ولهم قلوب لا يفقهون بها" ، ٧ : ١٧٨ . كما وردت مضافة إلى الضمائر
 كقوله تعالى "فانه آثم قلبه" ، ٢ : ٢٨٣ و "لكن ليطمئن قلبي"
 ، ٢ : ٢٦٠ و "وربطنا على قلبها" ، ٢٨ : ١٠ و "فانه نزل على قلبك"
 ، ٢ : ٩٧ و "بما كسبت قلوبكم" ، ٦ : ٢٢٥ و "ولكن قست قلوبكم"
 ، ٦ : ٤٣

أولوا الألباب :

ووردت كلمة الألباب ست عشرة مرة في ست عشرة آية كلها
 مقرونة "يا أولى" أو "أولو" . وقد جاءت مسبوقة بباء النداء نحو يا أولى
 الألباب ، و بمادة التذكر نحو "ذكرى لا أولى الألباب" ، "إنما
 يتذكر أولوا الألباب" ، و بكلمة "عبرة" نحو "عبرة لألباب"
 و بالضمير "هم" نحو "هم أولوا الألباب"

الأبصار :

و "أبصر" مثل "رأى" لها معنى حقيقى وهو الرؤية بالعين
 الباصرة ومعنى مجازى وهذا يتصل بالفكر أو التفكير و الإبصار بالمعنى
 الأخير ورد في القرآن أكثر من أربعين آية نحو (أفلا تبصرون - أم أنتم

لاتبصرون - ولكن لاتبصرون" - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)،
 و في آيتين سبقت "بأولى" و هي قوله تعالى "فاعتبروا يا أولى
 الأَبصار"، ٥٩ : ٢ وقوله "أولى الأيدي و الأَبصار"، ٣٨ : ٥٥ .
 و لا يدخل في ذلك ما جاء على وزن فعيل (بصير) منسوبا إلى الله تعالى
 نحو "خبير بصير" . . و قد وردت هذه في أكثر من أربعين آية أخرى .

النَّم :

و "النهي" معناها "العقل" و قد وردت في آيتين بصيغة واحدة
 "إن في ذلك لأولى النهي"، ٢٠ : ١٢٨، ٥٤

الرشد :

و "الرشد" من المعاني ذات الصلة بالعقل . و قد وردت في القرآن
 في تسع عشرة آية بصيغ مختلفة منها المضارع "لعلمهم يرشدون"
 و المصدر الرشد و الرشاد مثل : "وهي لنا من أمرنا رشداً"،
 و قد تبين الرشد من الغي "و" أهداكم سبيل الرشاد "و منها صيغة
 رشيد كفعيل نحو "و ما أمر فرعون برشيد".

العلم والعلماء :

و مادة "العلم" من أكثر الكلمات شيوعاً في القرآن هو فيما عدا
 صيغ : "العالمين" و "علم" و "معلوم" و "أعلام" و رد "العلم"
 بصيغة المضارع و الماضي في حوالي أربعين و خمس مائة آية . و وردت
 كلمة "العلماء" في موضعين هما قوله تعالى "إننا يخشى الله من عباده العلماء"
 ٣٥ : ٢٨ و قوله تعالى "يعلمه علماء بني إسرائيل"، ٢٦ : ١٩٧ .

الفؤاد :

ووردت كلمة "الفؤاد" و "الفتدة" في القرآن الكريم في ست
 عشرة آية .

الحكمة:

ووردت كلمة "الحكمة" في تسع عشرة آية، هذا عدا كلمة "حكيم" المنسوبة لله، والتي وردت في أكثر من ٩ آية في القرآن الكريم.

العبرة:

وردت بصيغة الأمر في آية واحدة "فاعتبروا يا أولى الأبصار"،
٥٩ : ٢ وبصيغة المصدر (عبرة) في ثلاث آيات: "إن في ذلك لعبرة"،
٢٤ : ٧٤ ، ٤٩ : ٢٦ ، ٣ : ١٣ ، "إن لكم في الانعام لعبرة"،
١٦ : ٦٦ .

تعليق:

هذه هي بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم ماله صلة وثيقة بالعقل والتفكير والعلم وهي مجموعها تكون دائرة واحدة يتصل معناها جميعا بالعقل ووظائفه في أوسع معانيه. هذا، وكلمة العلم التي وردت في القرآن في أربعين وخمسة آية ليس المقصود بها في القرآن (علم الدين) وحسب وإنما قصد بها كل علم نافع، يرفع من قدر الإنسان وينمي مواهبه العقلية، ويجعله أكثر خبرة و معرفة بأمور الدنيا، واستفادة منها وإفادة بها.

(٢)

العقل في السنة

لما كانت السنة مبينة للقرآن، ومفصلة لمجمله جاز أن نورد بعض ما ورد في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام في العقل.

(١) في حديث لأبي هريرة (١) وهو في مسند الحارث بن أبي

(١) أحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٧٤

أسامة عن د اود أن رسول صلى الله عليه وسلم قال :
 ”يا أيها الناس اعقلوا عند ربكم ، وتواصوا بالعقل ، تعرفوا ما
 أمرتم به وما نهيتم عنه“

(٢) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) :
 ”أول ما خلق الله العقل ، فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
 فأدبر ، ثم قال الله عز وجل : وعزني و جلالى ما خلقت خلقا أكرم على
 منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أتيب وبك أعاقب“

(٣) و قال أيضا (٣) : ما اكتسب رجل مثل فضل عقل
 يهدى صاحبه إلى هدى ، يرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام
 دينه حتى يكمل عقله“

(٤) و عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (٤) قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ”لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله ، فبقده ،
 عقله تكون عبادته . أما سمعتم قول الفجار فى النار ”لو كنا نسمع أو نعقل
 ما كنا فى أصحاب السعير“ ؟

(٥) و عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال (٥) : ”كثرت
 المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إن لكل
 شىء مطية ومطية المرء العقل ، و أحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة
 أفضلكم عقلا“

(٦) وروى أن عبد الله بن سلام سأل النبى صلى الله عليه وسلم
 فى حديث طويل فى آخره وصف عظم للعرش ” . . . وأن الملائكة قالت :
 ياربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش ؟ قال نعم : قالوا : وما

(٢) نفس المكان

(٣) نفس المكان

(٤) نفس المكان

(٥) نفس المكان

بلغ من قدره ؟ قال : هيهات ، لا يعطى بعلمه . هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا لا . قال : فاني خلقت العقل أصنافا شتى بعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ، ومنهم من أعطى حبتين ، و منهم من أعطى الثلاث و الرابع و منهم من أعطى فرقا و منهم من أعطى وسقا ، و منهم من أعطى أكثر من ذلك . هذه هي بعض الأمثلة للاحاديث النبوية التي وردت في تمجيد العقل .

و لكن تطرق الضعف إلى بعض اسانيد هذه الاحاديث فان في القرآن الكريم خير سند لها ، إن الوضوح و الترداد الذي حظيت به في القرآن الكريم يغني عن البحث عن مصدر آخر .

و من هنا ننتقل إلى وصف موجز للحالة العقلية التي كان عليها العرب قبل الاسلام لنبين الاثر الذي تركه الاسلام بعد ذلك في تنمية القوى العقلية لدى العرب خاصة ، و معتقني هذا الدين الحنيف عامة .

(٣)

حالة العرب العقلية قبل الاسلام و أثر القرآن في تنمية القوى العقلية

نزل القرآن بين العرب ، و بلغتهم العريية . و كان العرب عند نزول القرآن مختلفين في عقائدهم و معتقداتهم الدينية اختلافا كبيرا . منهم المشركون عبدة الأصنام ، و منهم من كان يعتنق النصرانية أو اليهودية ، و منهم الأحناف الذين ترجع عقيدتهم إلى ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام . . و من هؤلاء أولئك من كان يتطلع إلى دين جديد ، و نبي جديد ، و لكنهم لا يدرون من أي قبيلة سيكون ذلك النبي . و بأي دين سيأتي . . غير أن رأيا عاما كان منتشرًا بينهم بقرب مقدم النبي الذي تحدثت عنه الكتب الساهوية و ملا خبره أرجاء الجزيرة العربية .

وقد حدثنا القرآن عن هذه الانحيازات المختلفة من العرب ، ذوى العقائد المتباينة وخطابهم جميعا ، وتحدى عقولهم ، وطريقة تفكيرهم فمنهم من كان ينكر الخالق ويقول ”ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون“ .
ومنهم من كان يعترف بوجود الخالق ولكنه ينكر البعث ”إذا متنا وكننا ترابا ، ذلك رجع بعيد“ وكان معتنقو الأديان الكتابية على خلاف فيما بينهم : ”وقالت اليهود ليست النصارى على شىء“ — وقالت النصارى ليست اليهود على شىء“ .

وعلى الرغم من وجود هذه المعتقدات والآراء إلى ان التاريخ لم يثبت أن هذه المعتقدات والآراء كانت تقوم على منهج عقلى أو فلسفى واضح ولم يتح للعرب أن يبلوروا هذه المعتقدات فى فلسفة فكرية ذات قواعد واضحة محددة . بل كانت قاعدتهم الفكرية هى قولهم : ”إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون“ وهذه القاعدة من شأنها أن تحجر على الفكر النظر والبحث والتأمل . وبالتالى توقف النمو العقلى الذى يعين على الوصول إلى الحقائق المتصلة بالانسان ، والكون والحياة ، ماديا وروحيا .

أثر القرآن فى تنمية العقل الانسانى :

كانت مهمة القرآن هى العمل على إبطال القاعدة الخاطئة — ”إنا وجدنا آباءنا على أمة“ ، و كان من أهدافه أن يتحداهم فى عنف ، وأن يشككهم فى عقلياتهم التى تتخذ من الموروثات مبدأ فى الحياة . وأن يوجه الفكر إلى كل ما من شأنه أن يدعو إلى استعمال العقل والتدبر والتأمل حتى تزول تلك الحجب الكثيفة التى تحول بين العقل والرؤيا الصحيحة للأشياء ، وليخلق أمة جديدة هى أمة القرآن العاقلة المفكرة الباحثة الدارسة التى تعلى من شأن العقل ، وتستخدمه

في مختلف شؤونها ، وتفتح أمامه آفاقا غير محدودة لاستكناه حقائق الوجود في هذا العالم الكبير .

وقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصول ومبادئ عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليماً ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة . وبالتالي مكنت هذه المبادئ والتوجيهات المسلمين من الاستفادة من تلك الدرّة الإلهية التي منحها الله للإنسان وهي العقل ، فتمتته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها حتى كانت للمسلمين حضارة ، وعلوم ومخترعات .

كانت هنالك قوانين ، وتشريعات ، وفلسفة ، وطب ، وفلك ، ورياضيات ، وأدب واجتماع ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة ، وموسيقى ، وآداب للسلوك والاجتماع .

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات أساتذة عباقرة كأئمة الفقه والحديث الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع . وعلماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا من أمثال المسعودي وابن حيان وابن بطوطة والبيروني وابن خلدون والزرقالي . وعلماء الفلك من أمثال يحيى بن أبي منصور والطوسي وابن جابر البستاني وأبناء موسى بن شاكر . والرياضيين من أمثال الخوارزمي الذي أسس علم الجبر والهندسة التحليلية والميكانيكا ، والبتاني الذي وضع أسس حساب المثلثات . وقد شملت أبحاث العلماء الكيمياء والعلوم الطبيعية والتاريخ الطبيعي والطب . وقد قدم علماء المسلمين في هذا الميدان للإنسانية نتاجا وافرا وأصيلا - من هؤلاء الكندي ، وابن حيان ، والبيروني ، والجاحظ ، ويحيى بن ماسويه ، والرازي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، وإخوان الصفا . أمثال الرازي ، والغزالي ، والفارابي والكندي وابن سينا وابن رشد وابن ماجه وابن طفيل و ابن الهيثم من الآراء الفلسفية ما وقف أمامه فرجة العصور المتأخرة مشدوهين .

حتى الموسيقى كان لها علماء وضعوا أصولها وقواعدها وقدموا المبتكر الذي عاشت عليه أوروبا في عصورها الوسطى ، و التاريخ يذكر لنا عشرات العلماء الذين أسهموا في هذا الميدان أمثال اسحاق الموصلي و الفارابي و ابن محرزو الكندي و الخوارزمي و الغزالي و إخوان الصفا و كثير غير هؤلاء .

وفوق ذلك فقد كان المسلمون واضعي طريق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساسا للحضارة الاوروبية الحديثة . ويكفي أن نستشهد في هذا باعتراف (١) بريفولت Briffault في كتابه Making of Humanity "إن الاوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي ، و انه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر" . ويؤكد Briffault "أن نفى هذا عن المسلمين هو نوع من التضليل في فهم للمصدر الحقيقي للحضارة الاوروبية" .

وكان هنالك قادة و حكام لم يعرف التاريخ لهم مثيلاً ، أمثال أبي بكر و عمر و خالد و صلاح الدين و طارق و محمد الفاتح . و كانت هنالك مدن و حواضر لم يشهد لها العالم مثيلاً مثل بغداد و قرطبة و غرناطة و أشبيلية و القاهرة — مدن تزخر بالحدائق الغناء ، و القصور الفخمة ، و المدارس المنتشرة و المساجد العامرة بالعلماء و العباد ، و الجامعات و المكتبات و الأسواق ، و الشوارع المضاءة ، و مئات الآلاف من المنازل .

و كانت هنالك ممالك و دول في الشرق و الغرب ، بسطت نفوذها و عقيدتها و فلسفتها على معظم الرقعة المعمورة من الأرض في ذلك الزمان حدث هذا في القرون القليلة التي تلت ظهور الاسلام ، دين العقل المفكر . كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التي غرسها الاسلام في معتنقيه و التي أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة ، في الانسان

(١) الفكر الاسلامي في منافعه و آثاره ص ١٠٨

المسلم ، ففتحت أمامه آفاقا للتحرر من ريقه ، ما كان عليه الآباء ، فدرس ، وبحث ، وأضاف ، وجدد ، وابتكر فكان ذلك النتاج الحضارى الاسلامى الاصيل فى سائر المعارف الانسانية

وفى يلى أمثلة لأهم الموضوعات التى أجال فيها القرآن النظر - إلى العقل ، التى كونت فى مجموعها العقلية المسلمة الباحثة المفكرة .

(٤)

أهم الموضوعات التى أحال القرآن النظر فيها الى العقل

الباحث الذى يستعرض الآيات التى لفت القرآن الكريم فيها نظر الانسان لأعمال فكره وعقله يجد أنها تناولت فى الجملة المسائل الآتية :

(١) الاستدلال على وجود الله و وحدانيته و قدرته و الدعوة بصفة أساسية إلى التفكير فى خلق الله سبحانه و تعالى عامة ، و فى ظواهر هذا الكون الفسيح خاصة و قد اشتمل هذا على :-

(أ) الظواهر الكونية المرتبطة بهذه الأرض التى نحييا عليها .

(ب) الظواهر الكونية التى تعلو هذه الأرض .

(ج) المقارنة و الموازنة بين هذه الظواهر و ما بينها من اختلاف و تشابه .

(د) النفس البشرية و أصل خلق الانسان .

(٢) الدعوة إلى العلم و التعلم و التفكير و التدبير فى القرآن الكريم .

(٣) التكليف : الأوامر و النواهي ، و الأمر بالمروف و النهي

عن المنكر .

(٤) مواقف المشركين و أهل الكتاب و المنافقين من دعوات الرسل ،

و خاصة دعوة الرسول عليه الصلاة و السلام .

ولما كان من العسير إثبات كل ما ورد في القرآن من آيات في هذه المسائل — مما لا يتسع له هذا البحث المقتضب فسأكتفى بأمثلة محدودة لأربعة من الموضوعات التي تناولها القرآن ، ولفت النظر إلى ضرورة إعمال العقل والفكر فيها .

أولاً: في العلم والتعلم :

(١) كان أول ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان يتحنث في غار حراء خمس آيات ، هي قوله تعالى :

” (١) اقرأ باسم ربك الذي خلق (٢) خلق الإنسان من علق (٣) اقرأ وربك الأكرم (٤) الذي علم بالقلم (٥) علم الإنسان ما لم يعلم “ .

في هذه الآيات بدأ الوحي الالهي بالقراءة في أول آية ، وكررها مرة أخرى في الآية الثالثة وأوضحها مؤكدا ما رمى إليه من معنى وهو ” التعليم “ وزاد التأكيد بذكر القلم ، ثم لفت النظر إلى الأصل الذي خلق الله منه الإنسان . وهو العلق . وفي قوله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم ما فيه من الإشارة إلى مكنون أسرار هذا الكون بما سيعرفه الإنسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

ولولم يرد في القرآن من إشارة إلى العلم والتعلم إلا هذه الآيات لكفى ذلك دليلا على توجيه النظر وحث الناس لاستخدام عقولهم وتعلم العلم الذي يكون عادة بالقراءة والكتابة بالقلم والبحث والاطلاع واكتشاف أسرار النفس البشرية وأسرار هذا الكون الخفية .

(٢) ويزيد الله سبحانه وتعالى العلم والعلماء قدرا ورفعته شأن

فيقول :

”يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات“
(سورة المجادلة)

و يقول :

”هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون“

(سورة الزمر)

و يقول :

”و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب“

(سورة آل عمران)

و يقول :

”إنما يخشى الله من عباده العلماء.“

(سورة فاطر)

هذه الآيات وأمثالها رسمت المثل الأعلى للمسلم ، في نظر الله سبحانه . فالعلماء أرفع درجات عند الله ، والعلماء ، و لا يستوون عند الله مع غير العلماء ، و الراسخون في العلم هم أولو الألباب . و العلماء هم الذين يخشون الله ، و قرئ ”إنما يخشى الله من عباده العلماء“ على حد قول الشاعر :

أهابك إجلالا و ما بك قدرة على و لكن ملء عيني حببها

ثانيا : في شأن المشركين وأهل الكتاب والمنافقين :

(٣) و جادل القرآن المشركين ، و المنافقين و أهل الكتاب ، و وصف مواقفهم و عنادهم و عبادة المشركين للأصنام بعدم استعمالهم لعقولهم و لفت القرآن أنظارهم إلى من كان قبلهم من الأمم و ما حاق بهم من سوء المصير .

فقال :

”لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب“ (سورة يوسف)

و قال :

”وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبه الذين من قبلهم . و الدار

الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون،” (سورة يوسف)

وقال :

”أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون،”

(سورة الانبياء)

وقال في شأن المنافقين :

” و إذا لقوا الذين آمنوا قالو آمنا و إذا خلا بعضهم إلى

بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند

ربكم أفلا تعقلون،” (سورة البقرة)

ففي هذه المواقف الأربعة تعريض بعقول المشركين و المنافقين و أهل الكتاب ، و بالتالى دعوة لاستخدام العقل ، و إعادة النظر ، فيما يعبدون من أصنام ، و فيما يقفون من مواقف نحو الدين الجديد .

ثالثا : فى التكاليف والمسئوليات والأوامر والنواهي :

لفت القرآن النظر الى استعمال العقل بالنسبة إلى أولئك الذين يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم ، و أولئك الذين إذا نودى إلى الصلاة اتخذوها هزوا و لعبا ، و أولئك الذين يأتون الفواحش و يقتلون النفس التى حرم الله بغير الحق ويستثير التفكير حتى لا يقصر نشاطه على أمور هذه الحياة الدنيا الفانية بل يجب التفكير أيضاً فى الحياة الأخرى - دارالخلود -

”أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون

الكتاب أفلا تعقلون،” (البقرة)

”و إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا و لعبا ! ! ذلك

بأنهم قوم لا يعقلون،” (البائدة)

”ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و لا تقتلوا

النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به ،
لعلكم تعقلون“ (الانعام)

”كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون ، في الدنيا
والآخرة“ (البقرة)

وفي الآية الأخيرة يستشير القرآن الانسان حتى لا يقصر همه
و تفكيره على ما في هذه الدنيا من متع ، وإنما يجب أن يفكر أيضا في
الآخرة . فقصر التفكير على الدنيا وحدها قصور في العقل ، يقود إلى
الضلال طالما كانت هنالك حياة أخرى باقية .

وفي إخلاص العمل لله ، يضرب الله سبحانه و تعالى مثلا رائعا
محسوسا لمن يفسد صدقته و أجره بالمن و الأذى فيقول :

”أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل و أعناب له فيها
من كل الثمرات و أصابه الكبر و له ذرية ضعفاء فأصابها
إعصار فيه نار فاحترقت . كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون“

فمن ذا الذي يفكر في ذلك المصير ، و يترك ما صنع من خير يذهب
سدى كما يذهب الأعصار المحرق بجناته و ثماره و هو في أشد الحاجة
إليها ، و هو في حالة ضعف و مسؤولية .

رابعا : براهين العقيدة ، و لفت النظر الى مظاهر الطبيعة :

في ختام الأمثلة نورد إichامات القرآن لتمنية القوى العقلية المفضية
إلى النظر في البراهين الدالة على قدرة الله سبحانه و تعالى ، الداعية
إلى التفكير و التأمل في هذا الكون العجيب الذي يمتلئ بالظواهر
الطبيعية التي تسير في نظام و دقة عجيبيين .

يقول الله سبحانه و تعالى :

”إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار

و الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحب المسخرين السماء و الأرض لايات لقوم يعقلون“ (البقرة)

”و من آياته أن تقوم السماء و الأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون. و له من في السموات و الأرض كل له قانتون. و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم. ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم ما ملكت أيديكم من شركاء فيها رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون“ (الروم)

”هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون“

”أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و ما لها من فروج. و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب. و نزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات و حب الحصيد و النخل باسقات لها طلع نضيد - رزقا للعباد ، و أحييناه به بلدة ميتا كذلك الخروج“ (ق ٦-١١)

”و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون“ (الأنعام)

”أولم ينظروا في ملكوت السموات و الأرض و ما خلق الله من شيء“ (الأعراف)

”قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون“ (يونس)

”أولاً ينظرون إلى الآء بل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت و إلى الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت فذكر إنا أنت مذكر“ (الغاشية)

”نحن خلقناكم فلولا تصدقون. أفأرأيتم ما تمنون؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون؟ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيها لا تعلمون. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون. أفأرأيتم ما تحرثون؟ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهنون. إنا لمغرمون. بل نحن محرومون. أفأرأيتم الهاء الذي تشربون؟ أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون؟ لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون. أفأرأيتم النار التي تورون؟ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمفوين. فسبح باسم ربك العظيم. (الواقعة)

في هذه الآيات الاخيره استدلال على العقيدة كلها، و قدرة الله على الخلق و البعث ، بمادة تقع تحت حس البشر . يعرض النشأة الأولى و الموت و امكان البعث بنفس الطريقة . و بضرب المثل بالزرع و المطر و النار. و لو شاء الله ما نبت الزرع ولا أثمر، و لانزل الهاء و لا تقدت النار

في عالم الأرض:

و قد طاف بنا القرآن الكريم في الايات السالفة في أنحاء هذا الكون الكبير ، الذي لا يعلم مداه إلا صانعه ، و تتبع مظاهر الطبيعة على وجه هذه الأرض التي نعيش عليها ، بما فيها من جبال و بحار ، و أنهار و ينابيع و نبات و أشجار ، و حيوان ، و فواكه تسقى بماء واحد و تفضل بعضها على بعض في الأكل.

ووضح لنا القرآن كيفية تبدل الأرض ، و تغييرها عندما ينزل عليها الماء فتهتز و تربو أى تنبت من كل زوج بهيج .

وفى عالم السماوات :

و فى الكون العلوى تحدث القرآن عن ملكوت السماوات — تحدث عن الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم (و كل فى فلك يسبحون) و تتسم الآيات التى تناولت مظاهر الطبيعة بلفت النظر و الاعتبار بما فيها بداية أو نهاية . فكثيرا ما تصدر الآية بقوله تعالى أولم يروا أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة .

ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه .

ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار .

أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الحور

التكرار دليل الاهتمام :

ولكى نعطى صورة تقريبية لمدى اهتمام القرآن بمظاهر الطبيعة و توجيه النظر للتفكير و التأمل و البحث فيها نورد إحصاء لبعض هذه الظواهر التى ردها القرآن فى كثير من آياته :

ذكر القرآن الكريم "الأرض" فى أكثر من ثمانين و أربعائة آية ، و ذكر السماء مفرداً و جمعا فى مائتى آية و ذكر النهار فى خمسين موضعا ، و ذكر البحر فى أكثر من أربعين موضعا ، و ذكر الجبال فى أكثر من خمسة و ثلاثين موضعا ، الأنعام فى ثلاثين موضعا ، و ذكر الريح و الرياح فى أكثر من خمسة و عشرين آية و الظلمات فى عشرين آية ، و النجم فى ثلاث عشرة آية ، و النخل فى عشرين آية و النطفة فى اثنتى عشرة آية

ماذا قال القرآن عن الأرض؟

لم يكن تكرار تلك الالفاظ عبثا و إنما جاء في كل آية باشارات خاصة ، و إيحاءات ، و مناسبات تختلف كل واحدة فيها عن الأخرى .
و هذا مثال للجوانب التي تحدث فيها القرآن عن الأرض . في بعض الآيات التي وردت في القرآن :

”أخذت زخرفها - أشرفت بنور ربها - ألقى ما فيها و تخلت -
أخرجت أثقالها - وضعها للأنعام - ألقى رواسي فيها أن تميد - تصبح
مخضرة - فجبرها عيونا - رجت رجا - و زلزلت زلزالها .
و جعلها الله . فراشا ، و ذلولا ، و بساطا ، و كفاتا ، و قرارا ،
و خاشعة ، و دحاها ، و جعل فيها خزائن و جنات الخ . .
و هكذا لو حاولت تقصي المناسبات التي ذكرت فيها هذه الظواهر
و الأسرار التي ذكرها الله بشأنها لما وسعك الزمن . و صدق الله العظيم :
و لو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، و البحر يمده من بعده سبعة أبحر ،
ما نفذت كلمات الله“ .

هذا الاتجاه الواضح الذي أخذ فيه القرآن الكريم بيد الانسان
و طاف به في أعماق هذا الكون هداه إلى أسراره ، و أوحى إليه أن يتأمل
فيه ، و يتدبر ، و يتعلم ، و ليسخره لمنفعته ، و يستخدم عقله في سبيل
ذلك إلى حدود لم تحدد . هذا الإيحاء هو الذي جعل علماء الاسلام
و فلاسفته العظام يضعون العقل في فهم مسائل الشريعة و غيرها في
المكان الأول ، و يلتزمون به دستورا و يقللون من قيمة التقليد . حتى ذهب
بعضهم إلى القول بعدم صحة إيمان المقلد . ذلك لأن العقل إذا تحرر
من الوهم و الخيال و الآراء الباطلة فسيهتدى لا محالة إلى حقائق
الأشياء عن معرفة و يقين ثابتين .

(ه) العقل عند الغزالي و العقاد :

عني الغزالي باستنباط موازين المعرفة اليقينية من القرآن الكريم

و يقول إنه استخدم هذه الموازين في وزن جميع الأمور الدينية والدينيوية فوجد أنها مطابقة للعقل (١). و قد وجد علماء المسلمين و فلاسفتهم أن جميع الأشكال القياسية التي عرفوها عن فلاسفة الاغريق رأسهم أرسطو و التي ابتدعوها و طوروا قواعدها ، قد وجدوا تطبيقاتها ميسورة في القرآن الكريم . بل يمتاز منطق القرآن و طريقته في الاستدال بتمشيده مع الفطرة و بعده عن التكلف و التعقيد الذي اتسم به منطق أرسطو . و قد أوضح ذلك الامام الغزالي باستفاضة في كتابه "القسطاس المستقيم" . و كتب الغزالي فصولا في بيان العقل و شرفه و حقيقته و أقسامه و تفاوت النفوس في العقول ، استقاها من تمجيد القرآن للعقل . و من أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام في ذلك ، و بنى على ذلك الكثير من آرائه الفلسفية التي بشها في عدد من مؤلفاته .

(٤) يقول الامام الغزالي (١) :

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل و حقيقته و ذهل الاكثرون على كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم و الحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشترك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على عدة معان و ما يجري هذا المجرى . فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالاول) الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم و الذي استعد به لقبول العلوم النظرية و تدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية و كأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الأشياء ، و لم ينصف من أنكر هذا أو رد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل على العلوم و النائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيها مع فقد العلوم و كما أن الحياة

غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة يتهيأ بها بعض الحيوانات للعلوم النظرية و لو جاز أن يسوى بين الانسان و الحمار في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار و البهائم لجاز ان يسوى بين الحمار و الجراد في الحياة و يقال لا فرق إلا أن الله عزوجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة فانه لو قدر الحمار جهادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه و تعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد و كما وجب أن يقال لم يكن مفارقتة للجهاد في الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمية في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل و هو كالرأة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور و الألوان بصفة اختصت بها و هي الصقالة و كذلك العين تفارق الجبهة في صفات و هيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية و نسبة القرآن و الشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فمكذا ينبغي أن نفهم هذه الغريزة .

الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات و استحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد . و ان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد و هو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات و استحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة و تسميتها عقلا ظاهرا وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة و يقال لا موجود إلا هذه العلوم .

الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من

حكته التجارب و هذبت المذاهب يقال إنه عاقل في العادة و من لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا .

الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور و يقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة و يقهرها فإذا حصلت هذه بالقوة سمي صاحبها عقلا من حيث أن إقدامه و إحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة .

ثم أتى الغزالي بأدلة من الحديث على صحة التسميات التي وضعها للعقل . و لا يهمننا هنا مناقشة هذه الآراء بقدر ما يهمننا إعطاء أمثال لاهتمامات فلاسفة الإسلام بموضوع العقل

ويرى الأستاذ عباس محمود العقاد (١) أن القرآن أشار إلى المعاني المختلفة للعقل التي شرحها علماء النفس على اختلاف خصائصها و وظائفها وهي :

(١) العقل الوازع (٢) العقل المدرك (٣) العقل الحكيم (٤) العقل الرشيد و يرى أن القرآن فرق بين هذه الوظائف و الخصائص في المناسبات المختلفة .

و العقل الوازع عنده هو الملكة التي يناط بها الوازع الأخلاقي و المنع عن المحذور و المنكر .

و العقل المدرك هو الملكة التي يناط بها الإدراك و الفهم و التصور للأشياء ، وهي لازمة لإدراك الوازع الأخلاقي ، و إدراك أسبابه و عواقبه .

أما العقل الحكيم فهو العقل الذي يتأمل فيما يدرك ، و يقلبه على

(١) التفكير فريضة اسلامية صفحة ٥ - ٨

(٢) نفس المكان

وجوهه ، و يستخرج منه بواطنه و أسراره ، و يبني عليها نتائجها و أحكامه ، و هذا يتصل بملكة الحكمة .

أما العقل الرشيد فهو وظيفة فوق وظيفة العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم ، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف . و يقول العقاد (٢) : قد يؤتى الحكيم من نقص في الإدراك و يؤتى العقل الوازع من نقص الحكمة و لكن العقل الرشيد ينجوبه الرشاد من هذا و ذلك . و يوضح الأستاذ العقاد أن القرآن يذكر ذلك مفصلاً و مقصوراً على نحو لا نجد نظيره في كتب الأديان الأخرى و يأتي لذلك بامثلة من الآيات التي أوردناها فيما سبق .

و يبدو أن بين هذه الأقسام من الارتباط و التداخل ما يجعل من الصعب وضع تقسيمات حادة لمسألة العقل كما وردت في القرآن ، و الأجزاء إضافة أقسام أخرى فيكون هنالك العقل المتأمل - و التأمل غير الحكمة - و العقل العالم أولاًً القدرات العقلية الأخرى التي ذكرها علماء النفس : فنقول العقل الرياضي و العقل اللفظي و العقل الموسيقى و السببي (Reasoning) و التذكري و العقل الانفعالي و العقل المتفائل . . الى غير ذلك .

إنه لجميل أن نحاول تطبيق نظريات العلم الحديث على الميادين التي تناولها القرآن ، فما يزال في القرآن مجال واسع للبحث و الدراسة التي قد لا تنتهي ما دامت على الأرض حياة ، و لكن الأجل من ذلك أن نحفظ للقرآن بجماله و روعته و بساطته التي يكمن فيها سر إعجازه . و حتى لا نقع في الخطأ الذي وقع فيه بعض علماء الكلام الذين حاولوا تطبيق آراء فلاسفة الإغريق في المسائل الإلهية في الأدلة و البراهين فادخلوا على العقيدة الإسلامية من التعقيد ما هي بريئة منه .

ملحق

في ورود ذكر "العقل"، و"التفكير"، و"الذكر" و"الابصار"،
و"الالباب"، إلى غير ذلك من الالفاظ الدالة على العقل -
في فواصل الآيات

وردت بعض ألفاظ العقل و كذلك كثير من الالفاظ الدالة عليه
والتي تحدثنا عنها - وردت في فواصل الآيات كقوله تعالى! -

.. ذلك بأنهم قوم لا يعقلون

.. أفلا تعقلون

.. لعلمهم يفقهون

.. أفلا تتفكرون

.. يا أولى الالباب

.. يا أولى الابصار

.. أم اتم لا تبصرون

.. لاآيات لاولى النهى

..... الخ .

ويوهم ذكر هذه الالفاظ في فواصل الآتى أنها ليست نصا في
موضوع الآية. أى أنها أمر ثانوى بالنسبة للباب الآتى وموضوعها.
والحق، أن الآية تمثل وحدة متكاملة، إذا حذف أى جزء منها
اختل أو نقص معناها. والفاصلة هى الكلمة التى تحتم بها الآية،
وربما سميت كذلك لأن بها يتم بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاء
وقوة (١).

قال (٢) القاضى ابوبكر فى فواصل القرآن انها " حروف متشاكلة

(١) من بلاغة القرآن ص ٧٥

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٩٦

في المقاطع يتم بها افهام المعانى .

وقال ابن ابي الاصبغ (١) : تأتي الفاصلة متمكنة في قرارها مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه . كقوله تعالى في سورة النحل ١١-١٣

”ينبت لكم به الزرع والزيتون و الاغراب و من كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون“

”وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون“

”وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون“

جعل مقطع الاية الاولى التفكير لائن دلالة حدوث الانواع المختلفة من النبات على وجود الاله القادر امر يدعو للتفكر . و هو مجامل للتفكر والنظر والتأمل (٢) .

و جعل مقطع الاية الثانية العقل لائن تسخير الله سبحانه و تعالى لليل والنهار يتعاقدان لخدمة الانسان ، ونهارا للمعاش ، و ليلا يسكن ويرتاح . والشمس والقمر والنجوم للنور والحياة والدفء والحرارة و لتهدي بها في ظلمات البر والبحر - و كماها تعمل في دقة و نظام تامين هذا يحتاج إلى عقل يدرك ان هذا لا يكون إلا بصنع صانع مدبر .

و ختمت الاية الثالثة بالتذكير لائن إدراك الالوان المختلفة من الزرع التي بشها الله في الارض يحتاج إلى عملية موازنة بين هذه الانواع ، والموازنة تحتاج إلى عملية تذكير .

(١) نفس المكان

(٢) كما ان عملية خروج المطر من ماء البحر الملح وصعوده الى السماء ثم نزوله منها ماء يشرب منه الناس ، و لينبت ألوانا مختلفه من الثمرات أمر لا يدرك إلا بطول التفكير والتأمل و امعان النظر .

نتيجة و خاتمة

مما تقدم تبين لنا أن القرآن دعا قارئه في وضوح و تكرار و تأكيد إلى ضرورة استخدام العقل لمعرفة الله ، واستكناه أسرار هذا الكون ، للوصول إلى الحقائق المتصلة به مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي لها صلة بالعقل و الحواس المدركة من قريب أو بعيد .

وتبين لنا أن هذا الاتجاه من القرآن الكريم لاستعمال العقل هو الذي هدى المسلمين في السقام الأول للعمل على تنمية القوى العقلية . حتى كانت لهم حضارة مازالت تتحدى الحضارات الانسانية عراقية و أصالة .

ولذلك تقدم المسلمون في كل ميادين الفكر الانساني عندما أعملوا عقولهم في البحث والدراسة ، و انتهجوا نهج القرآن العقلي الذي وضع لهم . فاستفادوا من ثقافات الائم التي انتشر فيها الاسلام ، والتي لم ينتشر فيها الاسلام . و لم يكونوا نقلة ، ولكنهم كانوا مفكرين ، ناقدين ، مجددين ، أصيلين ، فشرعوا في الفقه والقانون و مناهج البحث و دونوا التاريخ ، و وضعوا نظريات الاجتماع و أحدثوا أسساً عظيمة للفلك والجغرافيا و الطب و الموسيقى والكيمياء والطبيعة والفلسفة . و خلفوا ميراثاً كان لأوروبا نبراساً اعتدت به في عصورها المظلمة الحالكة الظلام ، وكانت مؤلفات العلماء المسلمين تدرس في جامعات أوروبا ، و كان الأساتذة المسلمون يمدون أبناء أوروبا بما وهبهم الله من معرفة ، فمن العلماء المسلمين أخذوا و عنهم نقلوا و بهم استفادوا و أفادوا .

ولئن أفلتت القيادة الفكرية والسياسية من أيدي المسلمين حيناً من الدهر ، فقد استيقظ المسلمون على دوى المدافع ، و ضجيج الآلات ، و سباق الفضاء . . .

و الذى جعل من الأعراب خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر، قد وضع فى يد هذه الأمة المشعل الذى يضىء
لها الطريق .

وليس هذا المشعل سوى العقل الذى يستمد ضوره من نور القرآن ،
كما يستمد القمر ضوره من نور الشمس . وبذلك تستعيد الأمة المسلمة
ماسلبت من سيادة و خلافة على هذه الارض .

”وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذى
ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون
بى شيئا“

المراجع

- | | |
|--------------------------------------|---|
| — | القرآن الكريم |
| — سيد قطب | فى ظلال القرآن |
| — محمد فارس بركات | المرشد الى آيات القرآن
الكريم وكماته |
| — م، م، شريف ترجمة الدكتور احمد شلبي | المفكر الاسلامى منابعه و آثاره |
| — الدكتور محمد يوسف موسى | القرآن والفلسفة |
| — عباس محمود العقاد | التفكير فريضة اسلامية |
| — الدكتور محمود قاسم | مذهب الغزالي فى العقل والتقليد |
| — للامام الغزالي | احياء علوم الدين |
| — للسيوطى | الاتقان فى علوم القرآن |